مَنْ سيُظهِر دين الله؟

آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي

الناشر

للتواصل:

الموقع الإلكتروني: www.alanwar14.org

البريـد الإلكتروني: info@alanwar14.org

هـــاتف جـــوال: ٠٠٩٦٦٥٦٠٢٥٧٥٧٦

دار المؤمل للطباعة والنشر

بيروت – لبنان

شارع بئر حرة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ – ٢٠١١م

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

يتحدث سماحة آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي -يحفظه الله- في هذا الكتاب عن الدين الإسلامي وإظهار الله -سبحانه وتعالى- له على العالم كافة، ويعرض -سماحته- بعض الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث والروايات الشريفة التي يقف من خلالها على حقيقة أن الإمام المهدي المنتظر -عجل الله تعالى فرجه الشريف- هو المظهر لدين الله في آخر الزمان.

ويستشهد -سماحته- بالآية القرآنية الكريمة: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (سورة الصف الآية ٨-٩) ويستعرض أسباب نزول الآية المباركة ويستدل عليها برواية الإمام الصادق عليه السلام: «والله ما نزل

تأويلها -أي ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾- بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج المنتظر»، ويرى في ذلك حقائق ناصعة يصنفها ضمن الحقيقة الأولى والثانية.

وتحت عنوان «متى سيُظهر الله الدين على الأديان كلها» يتساءل -سماحته- هل أظهر الله -سبحانه وتعالى- رسوله على الدين كله في زمانه؟ ثم يجيب -يحفظه الله- بالنفي معلِّلاً ذلك بالبرهان والوجدان ومتواتر الروايات شيعةً وسنة، ويرى: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يظهر على الدين كله في زمانه نظراً أن سيطرته الجغرافية كانت محدودة، بل إن حكومته لم يدن الكل فيها بالإسلام وأن كثيراً من الذين أظهروا الإسلام كانوا كاذبين ومنافقين.

كما يشير -سماحته- إلى التدخل الغيبي المباشر لنصرة الإمام المهدي المنتظر -عجل الله تعالى فرجه الشريف- ويستشهد على ذلك بمقطع من حديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والذي ورد في كتاب (مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم) حيث قال: «... التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أمتي أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله وسيظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة فيُعلي أمر الله ويظهر دين الله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ويؤيد بنصر الله وينصر بملائكة الله فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»، وبهذا يكون للجانب الغيبي دورٌ أساسيٌّ في نصرة الإمام عليه السلام وإظهار الدين.

ومن العناوين المهمة التي استعرضها سماحته -يحفظه الله- (مسؤوليتنا في زمن الغيبة) ويذكر في سياقه جملة من الروايات

الشـريفة التي تبين وظيفة الإنسـان المؤمن في زمـن الغيبة، والتي يرى أنهـا تقع في طريق (ليظهـره) لكنها تأتي في الدرجات الأدنى، ويقول: أن هنـاك روايـات عديـدة بل مسـتفيضة بل قـد تكون متواتـرة تصرح بأن مسـؤولية الإنسـان المؤمـن في زمـن الغيبة تتمثل فـي الصبر على المصائب والمصابرة على الفرائض، ويشرح ضمن عدة عناوين معنى المرابطة ويذكر تفاصيل مهمة في هذا الصدد لينتهي كتابه باسـتعراض الأجر العظيم للمرابطين.

وبمناسـبة ذكرى مولد الإمام الحجـة المنتظر -عجل الله تعالى فرجه الشريف- تغتنم مؤسسة الأنوار الأربعة عشر عليهم السلام الثقافية هذه المناسبة وتضع بين يدي القارئ الكريم، هذا الكتاب (من سيُظهِر دين الله؟) لسـماحة آية الله السـيد مرتضى الحسـيني الشـيرازي -يحفظه اللـه- والذي أشـرنا إلـى نبذة مـن موضوعاتـه إضافةً إلـى العديد من العناوين الأخرى والتفاصيل المستفيضة.

أسأل الله العلي القدير أن يجعلنا من أنصاره ومن المستشهدين بيـن يديـه وآخر دعوانـا أن الحمد للـه رب العالمين وصلـى الله على سيدنا محمد و على آله الطيبين الطاهرين.

مؤسسة الأنوار الأربعة عشر عليهم السلام الثقافية

١٢/ ٨/ ١٤٣١هـ

مَنْ سيُظهِر دين الله؟[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[2].

(١) ألقيت المحاضرة بمناسبة اليوم التاسع من ربيع الأول،اليوم العرفي لتتويج الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) بتاج الإمامة، والمشهور بيوم فرحة الصديقة الزهراء عليها السلام.

(٢) الصف: ٨-٩.

سنتحدث في هذه العجالة بإذن الله تعالى عن مفردة واحدة فقط وردت في هذه الآيات الشريفة وهي كلمة (لِيُظْهِرَهُ) في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾.

فإن الحديث حول هذه الآيات وحول كل مفردة ربما يقتضي أشهراً من البحث، فنقتصر هذه الليلة في الحديث عن هذه الكلمة (لِيُظْهِرَهُ)، ولنتطرق إلى بعض ما يمكن أن يُستنبط من هذه الكلمة القرآنية الكريمة.

أسباب النزول

ولكن قبل ذلك لنقرأ رواية في شأن نزول هذه الآية الشريفة، يقول الإمام الصادق -عليه الصلاة وأزكى السلام-: ﴿والله ما نزل تأويلها- أي ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾- بعدُ ولا ينزل تأويلها حتى يخرج المنتظر (عجل الله فرجه الشريف)».

[وقد استخدم الإمام اللقب الخاص للإمام المنتظر وهو (القائم) (عجل الله فرجه الشريف)] ولا ينزل تأويلها حتى يخرج المنتظر عليه السلام فإذا خرج المنتظر لم يبقَ كافر بالله العظيم ولا مشرك بالله إلا كره خروجه حتى لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة قالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله»[1].

(١) بحار الأنوار-ج٥١-الباب الخامس-ح٥٨.

والأحاديث بهذا المضمون عديدة ومستفيضة بل متواترة بالتواتر الإجمالي، بل لعلّه بالتواتر المضموني أيضاً أي: أن أصل وجوهر هذا المعنى: وأن هذه الآية المباركة لم ينزل تأويلها بعد وإنما سيأتي تأويلها فيما بعد، هو مما لاريب فيه وأيضاً هناك روايات عديدة وكثيرة عند أهل السُّنة تقارب ذلك وبعضها موجود في الصِّحاح -أيضاً-.

حقائق ناصعة

وعندما نتوقف عند كلمة (لِيُظْهِرَهُ) قليلاً نكتشف هنالك حقائق عديدة في هذا الكلمة الشريفة:

(الإظهار) حقيقة تشكيكية:

الحقيقة الأولى: أن (يظهره) حقيقة تشكيكية ذات مراتب، كما أن النور حقيقة ذات مراتب فهناك نور الشمس ونور القمر ونور المصباح ونور الشمعة. وكما أن الإيمان له مراتب: فإيمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين؟ وإيماني وإيمان أمثالي أين؟ إيمان سلمان المحمدي والمقداد وعمار ومَنْ أشبههم أين؟ وإيماني وإيمان أمثالي أين؟ وكذلك الأمر عند قياس إيمان أجلاء وأصحاب الأئمة الأطهار أمثال زُرارة وحمران والحمادين ومَنْ أشبههم من أعاظم حواريي المعصومين -عليهم الصلاة وأزكى السلام- مع إيمان الكثير منا...

فكما أن الإيمان حقيقة تشكيكية ذات مراتب وكما أن (الحب لله) و(في الله) حقيقة تشكيكية ذات مراتب، كذلك ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى**

الدِّيـنِ﴾، فـإن (الإظهار) هو حقيقة تشـكيكية ذات مراتـب، فقد يعلو الدِّيـن بدرجة، وقد يعلو بدرجات. والإظهار قد يكون له امتداد كمِّي، وقـد يكون له امتـداد كيفي، وقد يكون له امتداد فـي الجهة أيضاً -كما سنشير لذلك لاحقاً-.

الامتداد الكمي للإظهار

والمراتـب الكميـة لـ(يظهره)تعنـي أنـه يظهـر ويعلـو ويغلـب فيصدق (والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه).

ويُمكـن أن يعلـو ويظهـر ويغلب على مسـاحة وبقعـة جغرافية محددة من الأرض، كالدُّول التسعة التي سيطر عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويمكن أن يمتدَّ وتمتد مساحة علوِّ الدِّين وظهوره وغلبته إلى ما هو أكثر من ذلك كخمسين دولة تقريباً بخريطة اليوم كما حدث في زمان ودولة أمير المؤمنين ومولى الموحدين الإمام علي بن أبي طالب -عليه صلوات المصلين-.

ويمكـن أن يمتد ظهور الدِّين ليشـمل الكرة الأرضيـة كلها وذلك ما سيحدث في زمان الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) بل لعلَّه سيشمل العالم كله كما يشمل الجن والإنس وغيرهم أيضاً من الناحية الكمية.

الامتداد الكيفي للإظهار

ومن الناحية الكيفية قد تكون للإسـلام الكلمة العليا من الناحية الكيفيـة مئة بالمئة، وقد تكون الكلمة العليا لدين أو مذهب في الجملة

بأن تكون أغلب قوانينه ماشية ونافذة وحاكمة وقد تمكَّن في النفوس بدرجة ما لكنه قد يتمكن من النفوس بدرجة لا يضارعها شيء ولا ينافسها شيء وقد يكون دون ذلك.

وهذه النقطة الأولى تستحق حديثاً مطولاً لكن ولأنها ليست محطّ حديثنا الآن، مررنا عليها مرور الكرام وهي: أن (لِيُظْهِرَهُ) حقيقة تشكيكية ذات مراتب كماً وكيفاً وجهةً.

العنوان والمحصَّل

الحقيقة الثانية: في كلمة (لِيُظْهِرَهُ)-لاحظوا جيداً- هذه الآية تشير إلى هدف من أهداف البعثة النبوية الشريفة، بل تشير إلى غاية من غايات رب الأرباب سبحانه وتعالى وقبل أن أوضِّح ذلك أشير إلى قضية،لأن هذه القضية سوف تعطي بعض العمق لفهم ما نريد إيضاحه ونصبو إلى التأكيد عليه. هناك قاعدة أصولية معروفة تسمى (العنوان والمحصّل) وتعني: أنه تارة (الأمر) يتعلق بالشيء نفسه وتارة أخرى يتعلق (بالمركب الارتباطي) لنفس الأجزاء، تارة الأمر يتعلق بالسَّبب وأخرى يتعلق بالمسَبَّب أو يتعلق بعنوان من العناوين، فإذا تعلَّق (الأمر) بعنوان من العناوين، فإن المجرى عندئذ سيكون مجرى الاحتياط لدى الشك في الأجزاء، أو الشرائط أو ما أشبه ذلك.

ومع قطع النظر عن البحث الأصولي التخصصي فإن توضيحه بمثال تقريبي خارجي هو: إن المولى تارة يقول لك: اِحفر البئر إلى مقدار خمسين ذراعاً. فهذا أمر بحقيقة خارجية، فأنت مسؤول عن ماذا عندئذٍ؟

إنك مسؤول عن أن تحفر إلى خمسين ذراعاً، خرج الماء أم لم يخرج الماء،لأنه لم يأمرك بأن تفجر من الأرض ينبوعاً. لكنه تارة يأمرك بأن تفجِّر من الأرض ينبوعاً، يقول: أريد الماء. فأنت إذا حفرت سبعين متراً وما وصلت للماء فأنت مسؤول عن أن تحفر إلى ثمانين متراً وتسعين متراً إلى أن تجد الماء الذي طُلب منك الوصول إليه.

وعلى أي تقدير فإنه إذا أمرك بـ(الغاية) فأنت عليك إذا شككت في شيء وأنه محقق لها،عليك أن تسد أبواب العدم من جهته لكي تصل إلى الغاية، أي عليك أن تحتاط في الأجزاء والشرائط.

لكنه إذا أمرك بالسبب نفسه، فأنت مأمور عندئذ بالسبب فقط فقيامك وامتثالك بالسبب يُسقط الأمر وبه يتحقق الامتثال.

هذا مثال وإليكم مثالاً آخر في المقام أيضاً لتقريب الفكرة للذهن حتى نعرف ارتباط هذا البحث الأصولي المعروف (العنوان والمحصِّل) بالآية الشريفة.

تارة يأمرني المولى ويقول: اذهب و(ناقش) فلاناً المُنحرف الضال فأنا وظيفتي هنا أن أناقشه لا غير،لأنه لم يأمرني بمتعلَّق معين. ولكنه تارة يقول: (عليك بهدايته) فإن الأمر يختلف كثيراً بين ما لو قال (إهده) فإذا لم يهتدِ في جولات من الحوار والنقاش، لم يسقط تكليفي بل عليَّ الاستمرار لأنه لم يقل لي (ناقشه) فقط بل قال يجب أن تأتي به للجادة الصحيحة إذ إنه لايُريده أن ينحرف بل يُريد أن تُرجعه إلى سواء السبيل وهذا هو المطلوب أي إن (الغاية) هي المطلوبة.

وذلـك من الممكـن أن يتحقق عن طريق (النقـاش) و(الحوار) لكنـه إذا لـم يتم ذلـك بذلك فأنـت مُلزم بأن تسـلك طرقـاً أخرى معه لتقنعـه وربمـا يكون من المصلحـة أن تترك (النقـاش) معه،كأن توجد لـه قـدوة مثاليـة أو تتعامـل معـه بالسـيرة الحسـنة. ويمكـن أن يكون الطريـق:أن تعطيه مالاً أو بالعكس تمامـاً: أن تحرمه من المال فترة من الزمـن ترويضـاً له. يمكن أن يكون الحل بأن تضغـط عليه. ويمكن أن يكون الطريق هو أن تُبدي له محبة أكبر. وقد يكون تغيير الأسلوب هو الطريقة للوصول للمطلوب. وقد يكون الإبتكار والإبداع هو الطريق.

والحاصـل أنـه إذا أمـرك بـأن تهـدي زيـداً مـن الناس فقـد أمرك بالمحصَّل أي بالمسبَّب فأنت يجب أن تُحاول بمختلف الطرق الوصول إلى ذلك الهدف. ولكن إذا أمرك بالسـبب فأنت مأمور بالسـبب ولا غير أي أمرك مثلاً بأن تناقشه فقط فأنت وظيفتك إذن أن تناقشه ولا غير.

والآن لنلـق نظـرة عامـة علـى الأوامر في الشـريعة، فـإن أوامر المولى -سـبحانه وتعالى- في الشريعة على كلا النوعين. يعني أحيانًا يأمرنا سـبحانه بالمسبب، وأحيانًا يأمر بالسبب، فإذا أمر بالسبب فليس عليك إلا أن تحقق السـبب ولسـت مسـؤولاً عن النتيجة، ولكنه -جلَّ وعلا- إذا أمر بالمسبب فأنت مسؤول عن تحقق النتيجة.

ونضيـف هنـا قاعدة أخـرى وهي: أن مـلاك التكليـف ليس هو (الأمـر) فقط، بل (الغـرض) أيضاً. فـإذا المولى لم يأمرنـي بإنقاذ ابنه الذي سـقط في البئر جهلاً منه بأنه سـقط في البئر أو لأية جهة أخرى، فإن ذلك لا يُسقط التكليف عني بوجوب إنقاذ ابنه، لماذا؟

لأن العلم (بالغرض) سبب حكم العقل بإلزامك بأن تحقق ذلك الغرض والوصول إليه على حسب قدرتنا ووسعنا وطاقتنا.

تطبيق القاعدة على الآية الشريفة

وفي هذه الآية الشريفة -آية البحث- الله سبحانه وتعالى يذكر (المحصَّل) أو (العنوان) أو بالتعبير الآخر الأكثر تداولاً عندنا (الغرض)، فقد قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) ولكن لماذا؟ ما هو الغرض من إرسال الرسول بالهدى ودين الحق؟ ما هو هدف الله تعالى؟ وما هو المسبب النهائي لبعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

إنه ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

إذن هذا هو الهدف النهائي وهو: شمولية الهدى للعالم كله وسيطرة الحق ودين الحق على الأديان كلها ولولاه للزم العبث وللزم اللغو ولو في الجملة في عمل الله في خلقته للبشر وفي إرساله للرسول -سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيراً- وذلك من المستحيل.

ومرة أخرى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ لماذا أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؟ هل لمجرد التذكير؟ كلا، فقد قال ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[1] يا رسول الله. هذه هي مسؤولية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن ماذا يريد الرب في المحصلة النهائية؟ هل يريد التذكير فقط؟ نعم يريد من رسوله التذكير، ولكن السؤال هو: ما هو هدف الله

(١) الغاشية: ٢١.

تعالى؟ هل الهدف مجرد التذكير والتذكر؟

كلا؛ بل يريد شيئاً أكثر من ذلك، فإنه ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**﴾ وقد قام الرسول الأعظم بالهداية وأراهم الدِّين والطريقة، ولكن الله سبحانه ماذا يريد؟.

إنه يريد ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ وهذا عمل الله تعالى، وليس من عمل النبي ﷺ والنبي ﷺ من (العلل المعدة) لذلك دون شك لكنه ليس (العلة التامة).

متى سيظهر الله الدين على الأديان كلها

إذن: الغرض من بعثة رسول الله ﷺ والغرض من إرساله ﷺ هو: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ ونسأل: هل أظهر الله رسوله على الدِّين كُله في زمنه ﷺ؟

والجواب بوضوح: كلا وذلك بالبرهان والوجدان ومتواتر الروايات شيعةً وسنةً؛ أن النبي ﷺ لم يظهر على الدِّين كله، فالنبي في زمانه سيطر حسب جغرافية اليوم على تسعِ دولٍ فقط،وحتى في داخل حكومته لم يكن الكل قد (دانوا) بالإسلام، بل كان كثير من الذين أظهروا الإسلام كاذبين وكانت تُحاك - وباستمرار- مؤامرات ضده من قبل المنافقين، والمنافقون مَنْ هم؟

وسورة المنافقون نزلت في مَنْ؟ هل نزلت في أناس من الصين؟

كلا، إنها نزلت في بعض صحابة رسول الله -صلى الله عليه

وآله وسلم- بلا شك.

إذاً، النبي في زمانه لم يظهر الله تعالى دينه على الدِّين كله وإنما سيظهره في مستقبل الأمر، وذلك ليس إلا في زمان الإمام المهدي المنتظر -عجل الله فرجه الشريف-.

ولو لم يفعل الله ذلك للزم (نقض الغرض) ولزمت (اللغوية)، لأن الله تعالى بعث النبي ﷺ وقلب الكون كله، والمعادلات الكونية كلها قد غيرها الله -سبحانه وتعالى- بمولده الشريف ومبعثه بالرسالة الخاتمة، ثم يحصر النتائج والثمار والأهداف في نطاق محدود؟

إن النبي ﷺ عندما بُعث، أبواب السماء أغلقت في وجه الشياطين،كما بيَّن تعالى بقوله: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا**﴾[1].

وغاضت بحيرة (ساوة) الشهيرة، وانطفأت نيران المجوس في فارس، وإلى آخره. الكون كله تحوَّل بولادة رسول الله ﷺ والله يقول بأن هدفي من البعثة هو ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ فهل يتحقق ذلك (بالتذكير) فقط؟

إن ذاك عمل النبي ﷺ وليس تمام ما يريده الله -سبحانه وتعالى- وما سيحققه. إنَّ ما يريده الله وسيحققه أيضا هو ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ وحيث لم يُظهره على الدِّين كله في زمن النبي، إذاً ينبغي أن يكون المراد في زمن لاحق، هذا الزمن اللاحق في أي زمن

(١) الجن: ٨.

هـو؟ الآن مثلا هل هذا الدِّين ظاهر على الدِّين كله؟ أم المسـيحية هي الظاهرة على الأديان ولو في الجملة؟

اليهوديـة ظاهـرة بشـكل مـن الأشـكال، والبوذيـة بشـكل مـن الأشكال أو في بقعة من البقاع، وهكذا وهلمَّ جراً.

والحق الصُّراح ومحض الحق وهو حق أهل البيت -عليهم الصلاة وأزكى السلام- مُهمَّش في زاوية معينة محدودة فقط كما هو واضح الآن.

ربمـا يقـول قائل: فـي زمن مـن يسـمون بالخلفـاء الأمويين أو العباسيين أو العثمانيين، كيف؟

والإجابـة واضحـة: أمـا كمياً فإن (الهـدى) و(الديـن) لم يظهر ويسـيطر علـى الكرة الأرضية كلهـا وعلى الأديان كلها بـل كانت بلاد شاسعة خاضعة لأديان أخرى هذا أولاً.

ثم إن البلاد الإسـلامية بدورها كانت مليئة بالكفار والمشـركين والملاحدة وغيرهم ثانياً.

وأمـا كيفيـاً: فـإن الهـدى ودين الحـق لم يكـن ظاهراً فـي بلاد الإسلام إلا بنسبة محدودة وكان الوضع كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «ألا تـرون إلـى الحق لا يعمل به وإلى الباطـل لا يتناهى عنه»[1]، وكما قال: «من رأى سـلطاناً جائراً مسـتحلاً لحرام اللـه ناكثاً عهده كان حقاً

(١) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج٤٤-ص٣٨١-في تلاقي الحسين عليه السلام مع الحر رحمه الله.

علـى الله أن يدخله مدخله»[١]. وكان الوضع قبل ذلك كما قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُـونَ بِبَعْـضِ الْكِتَـابِ وَتَكْفُـرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٢] فكانت السـلطات جائـرةً أولاً، وكان الكثير من قوانين الإسـلام معطلة ثانياً، وكان الكثير من النفوذ والقوة لأعداء الرسـول ولأعداء أهـل البيت ولأعداء الحق والعدل كمعاوية والحجاج ومن أشبههما من سابق ولاحق ثالثاً، وهل مع ذلك كله يصدق ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾؟

إن الله سبحانه وتعالى سيظهر الدين الإسلامي الحق والصراط المسـتقيم بصدق علـى الأديان كلها في زمن خاتـم الأوصياء المهدي المنتظر -عجـل اللـه فرجـه الشـريف-. وتـدل علـى ذلـك الروايات المتواترة عند الشـيعة والسـنة، وسـنفرد لذلك بحثا متكامـلا بإذن الله تعالى عند التطرق لآية ﴿لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾[٣].

حقائق دقيقة في تفسير الآية الشريفة

ولنتوقـف عند بعـض (الدقائـق) في الآيـة الشـريفة، فمنها: إن الله جل وعلا اسـتخدم ضمير الغائب (هو) في قوله (هُوَ الَّذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ بِالْهُدَى) ولم يقل (الله الذي أرسل رسوله) أو (الرحمن الذي أرسل رسوله) أو (الرحيم) أو (العالم) وما أشبه ذلك. فلماذا استخدم

(١) بحار الأنوار -العلامة المجلسي -ج٤٤- ص٣٨٢- في نزول الإمام الحسين عليه السلام بكربلاءالمقدسة.
(٢) البقرة: ٨٥.
(٣) النور: ٥٥.

ضمير الغائب وهو الذي لا يغيب؟

ربما يكون من الأسباب الوجيهة لذلك -والله العالم- الإشارة إلى الجانب الغيبي المكنون في ذلك لأن (هو) ضمير وهو (موغل) في الغيب أو فقل (غارقة) هذه اللفظة في (الغيب)، فإنَّ الضمير ضمير الغائب، في مقابل أن يقول (الله) مثلاً، و(الله) اسم علم - كما هو واضح- وبكلمة: فإنَّ استخدام الضمير قد يُستشعر منه أنه كما أنَّ الله سبحانه وتعالى بلحاظ كلمة (هو) غيب الغيوب، فإن (ليظهره) سيكون أمراً غيبياً صرفاً وأمراً غيبياً محضاً وستكون أسبابه وطرقه ووقته وما يحف به غيباً في غيب، ولذلك نجد (كذب الوقاتون)[1] ونجد أن ما يرتبط بالإمام الحجة القائم -عجل الله فرجه الشريف- هو بشكل عام غيب في غيب.

ثم لنلاحظ قوله تعالى (هو الذي) فإن كلمة (الذي) فيها تأكيد، وكان الله تعالى يستطيع أن يقول (هو أرسل رسوله)، لكنه قال: ﴿**هُوَ الَّذِي**﴾ إذ تستطيع أن تقول: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ**﴾، وتستطيع أن تقول (هو أرسل رسوله بالهدى)، ولكن لأن التأكيد مطلوب هنا فقال: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ**﴾.

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣٦٨: محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن ابن كثير قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم، فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظر، متى هو؟ فقال: يا مهزم، كذب الوقاتون وهلك المستعجلون ونجا المسَلِّمون.

ثم إن الله تعالى يُرجع الضمير له مرة أخرى فيقوله(أرسل رسوله) وكان من الممكن أن يقول (هو الذي أرسل الرسول). كلا.. بل يريد أن يربط القضية به مباشرة لأن قضية الإمام المهدي-عجل الله فرجه الشريف- مُرتبطة بالله -سبحانه وتعالى- مباشرة ولأنها من أسرار الغيب لذا يستخدم الضمير (هو) ثم يؤكده بارجاع الضمير له مرة أخرى ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**﴾ ولكن لماذا؟ (لِيُظْهِرَهُ) ومَنْ هو فاعل يظهره؟ الله تعالى (لِيُظْهِرَهُ) أي (ليظهر رسوله) على احتمال، أو (ليظهر دينه) على احتمال آخر في مرجع الضمير في (يظهره)، وكلاهما صحيح فان إظهار رسوله على الدين كله قد يكون بإظهاره بنفسه وقد يكون بإظهار من هم نفسه بنص قوله تعالى: ﴿**وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ**﴾.

والحاصل أن هذا الإظهار إظهار غيبي ارتبط بذات غيب الغيوب -سبحانه وتعالى- وهذه أيضاً حقيقة من الحقائق التي تشير إليها هذه الآية الشريفة: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾.

التدخل الغيبي المباشر لنصرة خاتم الأوصياء:

ونستشهد على ذلك برواية انتخبناها -ونظائرها بالمئات- من كتاب (مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم-عجل الله فرجه الشريف-) رزقنا الله وإياكم الشهادة بين يديه -إن شاء الله- فإنها صريحة بأن القضية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى مباشرة، ففي حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أمتي، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، وسيظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة فيعلي أمر الله ويظهر دين الله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ويؤيد بنصر الله، ويُنصر بملائكة الله، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»[1]. وتأملوا في هذا التأييد الغيبي والتسديد الغيبي، وإلا فإن البشر الذين نحن نعرفهم ليسوا بمؤهلين لذلك وليسوا بمستوى ولا يستطيعون أن يصلوا إلى ذلك المقام الذي تكون لهم فيه قابلية أن يظهر بين ظهرانيهم نور الله -سبحانه وتعالى- كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[2].

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ثم يرجع إلى الكوفة فيبعث [يعني الإمام المهدي -عجل الله فرجه الشريف-] الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً إلى الآفاق كلها فيمسح [أي الإمام المهدي -عجل الله فرجه الشريف-] بين أكتافهم، وعلى صدورهم [وكل ذلك تدخل غيبي مباشر]، فلا يتعايون [من العي، أي العجز] في قضاء، ولا تبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله»[3].

فالأمر إذن أمر غيبي، إنه أمر الله، فإن له -جلَّ اسمه- هدفاً من

(١) بحار الأنوار - ج٣٦ - باب فيما قاله النبي صلى الله عليه وآله في عدد أئمة أهل البيت عليهم السلام - ص٢٥٢.
(٢) الزمر: ٦٩.
(٣) بحار الأنوار - ج٥٢ - ص ٣٤٥.

هذه الخلقة سامياً ونهائياً، إلا أن البشر ليس بمقدورهم الوصول إليه ليست عندهم القابلية لكي يصلوا، لكن لطف الله وهو الرؤوف بعباده الرحيم بهم حيث ابتدأ لهم النعمة والرحمة ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[1] ورسول الله ﷺ كان يقول: «رب اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[2]، فإنه سيكمل الرحمة والنعمة.

فالبشر بما هم بشر لا يمكن - بدون لطف إلهي وتدخل إلهي مباشر- أن يصل إلى المقام الذي يتشرف حتى بنظرة واحدة لوليّ الله الأعظم فكيف بأن يظهر فيهم ويعيش بين ظهرانيهم؟ ولكن الله يتدخل تدخلاً غيبياً ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ هو سبحانه وتعالى وجل اسمه الذي (يظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وهذه أيضاً حقيقة من الحقائق الكبرى في الآية الشريفة.

الترابط الجوهري بين الآيات

الحقيقة الأخرى تجلت حين كنتُ أتأمل في الترابط بين هذه الآية الشريفة بالآية الكريمة اللاحقة لها من زاوية العلاقة مع كلمة (يظهره) -وليس البحث في تفسير الآيات كلها،بل كلامنا فقط حول كلمة (يظهره)- فكنت أتأمل ما هو ربط هذه الآية بالآية اللاحقة؟ أي ما هو الرابط بين قوله تعالى: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ ثم قوله بعد ذلك مباشرة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾؟

(١) الأنبياء: ١٠٧.
(٢) بحار الأنوار-ج٢٠- الباب ١٢-ص٢١

قـد يتصور: أن الله تعالـى فجأة انتقل لبحث جديد، ولكننا نعلم علـم اليقين بأن الآيـات القرآنيـة الكريمة بعضها متشـابك مع البعض الآخر، ومترابـط ترابطا عضوياً فبعضها يُكمِّل بعضاً، والآيات ليسـت مجرد لبنات متناثرة متباعد بعضها عن بعض- كلا.

بل هي لبنات بناء بُني على هندسة تكوينية رائعة ودقيقة وليست هندسـة تشـريعية فقـط، هذه الأوامـر التشـريعية وأشـباهها بُنيت على هندسة تكوينية دقيقة، بحيث أن كل لبنة تترابط مع كل اللبنات الأخرى لهذا البناء المبارك بأسمى وأجلى وأعمق ترابط، بحيث إذا نزعت لبنة واحـدة أو حـرف واحد من القـرآن الكريم زحزح من مكانـه، فإن كل البناء سيتأثر.

وقـد كتب بعض العلماء كتاباً علمياً اسـتدلالياً على إعجاز القرآن الكريم في هندسته وبنائه الهيكلي، وأثبت بالمعادلات الهندسية والعلمية أن حرفاً واحداً لو يُزاد أو يُنقص من القرآن،فإن كل المعادلة ستختل.

والآن لنعـد إلى التسـاؤل الأول: ما هو ربط الآيـة الأولى ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْـرِكُونَ**﴾ بالآية اللاحقة لها مباشرة وهي: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِـكُمْ ذَلِكُـمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾؟[1]

(١) الصف: ١٠ - ١١.

المرتبة الأسمى عمل الله، والمراتب الأولى مسؤوليتنا

ربما يكون الوجه في الترابط بين الآية الأولى والآية الثانية هو ما صدَّرنا به مطلع الحديث حول مُشككية (ليظهره) أن الله يُريد أن يُفهمنا بأن ذاك المظهر الأسمى، أو المصداق الأجلى (لظهور الدِّين) على الكون كله، بملائكته وشياطينه كما حدث في ملك سليمان وأكثر بملائكته وشياطينه وحيتانه والإنس والجن بمختلف ألوانهم وأشكالهم، هذا المظهر الأسمى، المرتبة الأسمى من الإظهار، هذا عمل الله ولا غير، فإن الله -سبحانه وتعالى- حيث يتدخل تدخلاً غيبياً مباشراً (هو الذي يظهره على الدين كله)، ولكنه يوضح لنا بعد ذلك مسؤوليتنا نحن إذ يمكن أن نتساءل: نحن ما هو عملنا إذن؟ نحن ما هو واجبنا وتكليفنا؟

الآية اللاحقة هي التي تجيب. فأنت لا تقدر ولا تستطيع أن تنال تلك المرتبة الأسمى، ولكن هذا الواجب له درجات، إنه واجبٌ ذو درجات وذو مراتب، المرتبة العليا هي عمل الله -سبحانه وتعالى- وغايته في الخلقة، ولكن المراتب الأدنى وبمقدار ما يسعنا، تقع على عاتقنا نحن ولذا ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ هذا عمل الله، أما نحن البشر فما هو عملنا؟ الذين آمنوا ما هو عملهم؟ ذلك ما تشير له الآية التالية مباشرة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ هذه المرتبة من إظهار الدِّين هي: الإيمان بالله والرسول وهي قضية جوانحية، وأن نجاهد في سبيله بأموالنا وأنفسنا وهي قضية

جوارحيـة هذه المرتبة واجبة علينا، وأمـا المرتبة التي فوقها فهي خارجة عـن طاقتنا، ولكن المرتبة الأدنى هي التي تجـب علينا فـ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعد ذلك مباشرة ﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ**﴾ مع أن المؤمـن، الفَرَض أنه مؤمن فكيف يطلـب منه الإيمان مرة أخرى؟ الجواب هـو لأن المطلوب مرتبة أخرى أسمى وأعلى من إيمان ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾.

ذلك أن للإيمان أيضاً درجات، كما أن لإظهار دين الله درجات، كما أن للجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس أيضاً درجات.

مسؤوليتنا في زمن الغيبة

هذا الاسـتظهار حول ترابط الآيتين الكريمتين يؤيده ويدلُّ عليه جملة من الروايات الشريفة التي تبيِّن وظيفتنا في زمان الغيبة، فما هي وظيفة الإنسان المؤمـن في زمان الغيبة؟ والتـي تقع في طريق (لِيُظْهِـرَهُ) لكن في الدرجات الأدنى،هناك روايات عديدة، بل مسـتفيضة، بل قد تكون متواترة، تُصرِّح بأن مسؤوليتنا نحن في زمان الغيبة هي: (الصبر) و(المصابرة) (المرابطة).

الصبر على المصائب والمصابرة على الفرائض

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1].

يقـول الإمام الصادق -عليه الصلاة وأزكى السـلام-: «اصبروا

(١) آل عمران: ٢٠٠.

علـى المصائب»[١] فالمؤمن في زمن الغيبة مبتلى بمصائب كثيرة، لأنه أقل شيء عليه: أن لا يصافح الاستعمار، ولا يصافح الظالم.

ومن الواضح إنه إذا لم يصافح الاسـتعمار، ولم يصافح الظالم، فإنه سيبتلى بمصائب في نفسه، في ماله، في أسرته وفي مكانته وموقعه الاجتماعـي وغير ذلك ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ**﴾ على ماذا؟ (على المصائـب) ﴿**وَصَابِرُواْ**﴾ (على الفرائـض) إذ إن الفرائض تحتاج إلى مُصابـرة، أي آمـرك بـأن تصبر عليها وتأمرني، أرشـدك وترشـدني بأن أصبر لأن الفرائض التي منها إقامة الصلاة هو أمر صعب جداً[٢] ومنها الأمر بالمعروف.

والأمـر بالمعـروف بـدوره صعب جـداً حقيقة، وأنتـم تصوروا شـخصًا ليلاً ونهـاراً يأمـر بالمعروف: يأمـر الحاكم بالمعـروف، يأمر رئيس الشـركة، يأمـر البرلمانـي بالمعروف، يأمـر أباه، وأخـاه، وابنه، وصديقـه، وعـدوه بالمعـروف. هـذا الإنسـان المثابـر علـى الأمـر بالمعروف من الطبيعي أن تنهالُ عليه المشاكل من كل حدب وصوب ولكنـه بصبـره عليها واسـتمراره في مسـيرته يكـون هو العامـل بقوله تعالى: ﴿**وَصَابِرُواْ**﴾ على الفرائض، ﴿**وَرَابِطُواْ**﴾ على الأئمة[٣].

---

(١) الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – باب الصبر – ح١٩.
(٢) وقد أوضح السيد الأستاذ دام ظله معنى بل معاني (إقامة الصلاة) في بحث آخر مستقل.
(٣) التفسير الأصفى – الفيض الكاشاني – ج١ – ذيل تفسير سورة آل عمران – ص١٨٩.

هـذه رواية الإمـام الصـادق -عليه الصـلاة وأزكى السـلام- أي ورابطوا على الاقتداء بالأئمة، وهذه الرواية سـندها صحيح فقد ورد في تفسير القمي قال الإمام الصادق(عليه السلام) في تفسير الآية: «اصبروا على المصائب، وصابروا على الفرائض، ورابطوا على الأئمة عليهم السلام»[١].

المرابطة على الاقتداء بالأئمة عليهم السلام

وهنـاك رواية أخرى تفسِّـر (ورابطوا على الأئمـة). يقول الإمام الكاظـم عليه السلام: «اصبـروا علـى المصائـب، وصابروهـم علـى التقية، ورابطوا على ما تقتدون به»[٢].

فالاقتـداء بأمير المؤمنين ومولـى الموحدين علي بن أبي طالب -عليـه صلـوات المصلين- أمر صعب جـداً لأنه كان قمَّـة في الزُّهد، قمَّـة في الوَرَع، قمَّة في التقوى، قمَّـة في الجهاد لا تأخذه في الله لومة لائـم ولكـن أنتم (رابطـوا على ما تقتـدون به) ومالذي تقتـدون به من الأعمـال والسـيرة والأفعال؟ إنها هي أعمال وسـلوك وسـيرة ومنهج الأئمـة الأطهار عليهم السلام إذ رابطوا على الأئمـة، أي على الاقتداء بالأئمة «ورابطوا على ما تقتدون به، واتقوا الله لعلكم تفلحون».

وفـي رواية أخـرى يقـول عليه السلام: «رابطـوا إمامكم فيمـا أمركم وفرض عليكم»[٣].

(١) تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي - ج١ - ص١٢٩.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج٢٤ - باب ما نزل في الأئمة عليهم السلام من الحق والصبر والرباط والعسر واليسر - ح٥.
(٣) مكيال المكارم - ميرزا محمد تقي الأصفهاني - ج٢ - ص٤٠٠.

ما الذي أمرنا به الأئمة؟ إنه «أحيوا أمرنا»[١] وهذا أمر واضح وصريح موجه لنا بالإضافة إلى العشرات والمئات من الآيات ومن الروايات التي تصرِّح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إذن نرابط على ماذا؟ على (ما أَمرنا) به إمامنا -عليه الصلاة والسلام-: ففي زمان الغيبة هذه مسؤوليتك وهذه مسؤوليتي.

وهذا الحديث بمناسبة أن اليوم التاسع من شهر ربيع الأول، المشهور بفرحة الصديقة فاطمة الزهراء -عليها الصلاة وأزكى السلام- هو يوم عرفي لتتويج الحجة المنتظر -عجل الله فرجه الشريف- بتاج الإمامة إنْ صحَّ التعريف والتاج يتشرف بأن يُنسب إلى الإمام.

وإننا في زمن الغيبة مسؤولون بهذا القدر وعلى حسب الوسع والطاقة. ولكن إظهار دين الله على الأديان كلها وفي تلك المرتبة العليا فإنه من شأن الله تعالى ومن عمله وليس عملنا نحن، ولكن المراتب الأدنى التي تتحقق بـ: صبرنا على المصائب ومصابرتنا على الطاعات ومرابطتنا على الاقتداء بالأئمة عليهم السلام هي مسؤوليتنا وواجبنا وتكليفنا.

معنى المرابطة

و(المرابطة) هي مأخوذة من (رَبَطَ) أي شَدَّ شيئاً بشيءٍ آخر،أي شدَّه مع المحافظة عليه. فكلمة (ربط) لا تعني فقط (شَد)، وإنما شده

(١) بحار الأنوار: ج٤٤ ب٣٤ ح١٤ ص٢٨٢.

وحافظ عليه. قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

إذاً (المرابطة) كما يقول اللغويون، وكما يُستفاد من الآيات القرآنية الكريمة لا تعني فقط الارتباط بالشيء، بل شدة الإرتباط به واستمراريته، والمحافظة على ذلك. فقولنا (رابط الأئمة) أي التصق بهم وبتعاليمهم ومنهجهم وشُدَّ نفسك بهم وصِلْ حبلك بحبلهم وحاول أن تتمسك بحبل ولائهم وطاعتهم وتحافظ عليه بكل قوة.

مدة المرابطة أبد الدهر

ولكن هذه المرابطة كم تدوم؟ كم ساعة؟ أو كم يوم؟.

الإمام (عليه الصلاة وأزكى السلام)، يقول: «رباطنا رباط الدهر».

لاحظوا هذه الرواية، وما أروعها من رواية، عن الإمام الباقر -عليه الصلاة وأزكى السلام- الإمام يسأل أبا عبد الله الجُعفي يقول: كم الرِّباط عندكم؟ والرباط عرفاً ما بين ثلاثة أيام إلى أربعين يوماً فإن تجاوز ذلك سُمي جهاداً قلتُ: أربعون - أي أربعون يوماً-، قال الإمام عليه السلام: «لكن رباطنا رباط الدهر»[2].

أي إنه مستمر وممتد إلى ظهور الإمام المنتظر -عجل الله فرجه

(١) القصص: ١٠.
(٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج٨ - ص٣٨١.

الشـريف- فنحـن الآن فـي حالـة رباط نحـن الآن مرابطـون وهذا هو الظاهـر من الروايـة، ولا وجه لدعوى انصرافها إلى (مدى العمر) فقط وكما قال رسـول الله ﷺ: «علماء شـيعتنا مرابطون فـي الثغر الذي يلي إبليس»[١].

والروايـة روايـة مُطولة وهي روايـة لطيفة لكن أنقـل لكم كلاماً للعلامـة المجلسـي -رضـوان الله تعالـى عليه- يقول في شـرح قوله عليه السلام: «رباطنا رباط الدهر»؛ أي «يجب على الشيعة أن يربطوا أنفسهم على طاعة إمام الحق، وانتظار فرجه ويتهيؤوا لنصرته»[٢].

الأجر العظيم للمرابطة

وهنـا حديث مفصل جداً أختصره بهذا السـؤال: إذا رابطنا على ذلـك ما هو الأجر المُعدُّ لنا؟ وسـأذكر لكم في هـذا الوقت المختصر أربع روايات عن (أجر) المرابطة على إحياء (أمر) أهل البيت الأطهار عليهم السلام وعن (مكانته) و (دوره الاستراتيجي الكبير).

الرواية الأولى: وهي رائعة - تذكر جانباً من الأجر وهي حديث نبوي شـريف حيث قال ﷺ: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله»[٣].

فالإنسـان إذا مات ينقطع عمله إلا مـن ثلاث - كما في الرواية -

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج١ - ص٨.
(٢) مكيال المكارم - ميرزا محمد تقي الأصفهاني - ج١ - ص٣٩٨.
(٣) نفس المصدر.

لكـن الرسـول يقول: «كل ميت يختـم على عمله إلا المرابط في سـبيل الله» فلو رابط الإنسـان بذاك المعنـى الأخص الذي هو الرباط في الثغر العسـكري، أو بالمعنـى الأعم، وهو الرباط في الثغر الثقافي، وما أشـبه ذلك فانه سـينمو له عملـه دوماً أبداً إلى يوم القيامة كمـا في الرواية «إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتان القبر (أو من الفترة)»[1] وعبرنا بـ(أو) لأن الروايات أو نسخها متعددة.

ومـن الجيد أن نشـير إلـى وجه الجمـع بيـن الروايتين:فإنه لأن (المرابطـة) المصـداق الأجلـى لمـا لا ينقطـع -لأنهـا مـن الصدقـة الجارية-.

والحصـر في روايـة (كل ميت) إضافي، أو الدقـة في الفرق بين كلمتيـن (ينقطع) و(يختـم) ولعلَّ الفـرق أن تلك الثلاثة لهـا (امتداد) أمـا (المرابطة) فمنتهية ظاهراً فلا امتـداد لها لكن الله مع ذلك لايختم ديوان عمله.

الرواية الثانية: يقول الإمام الباقر عليه السلام: «علماء شـيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب. ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم»[2].

(١) نفس المصدر.
(٢) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج١ - ص٨.

الرواية الثالثة: قال الإمام علي بن محمد -عليهما الصلاة وأزكى السلام-: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم -عليه الصلاة وأزكى السلام- من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقى أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذي يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله -عز وجل-»[1].

الرواية الرابعة: قال الإمام الحسن بن علي عليه السلام: «يأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم، على رأس كل واحد منهم تاج قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة»[2].

إلى آخر الرواية وهي رواية مطولة. فبناء على هذا نحن مسؤوليتنا في زمن الغيبة أن نكون (مرابطين في الثغر الذي يلي إبليس)، وكنت أريد أن أذكر بعض الحقائق الأخرى حول هذه الآية الشريفة وحول كلمة (يظهره) وربما نكمل البحث فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وندعو الله -سبحانه- ونلح عليه أي إلحاح، متوسلين إليه بلطفه -سبحانه وتعالى- وكرمه أن يكون الفرج قريباً جداً إن شاء الله، لأن الأمر بيد الله، فربما يكون بعد مليون سنة،و ربما يكون بعد ساعات، لأن الله -سبحانه وتعالى- «يُصلح أمر المهدي -عجل الله

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج١ - ص٩.
(٢) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج١ - ص١٠.

فرجه الشـريف- في ليلة»[١] كما في الرواية، فقد يحدث لله -سـبحانه وتعالى- (بداء) الذي هو بمعنى (الإبداء) في ساعة واحدة، فتتغير هذه المعادلات الظاهرية المكتوبة في لوح (المحوِ والإثبات)، ويتجلى ما هـو مكتوب في (اللوح المحفوظ) بإذن الله -سـبحانه وتعالى- لكننا إذا كنا من (المرابطين في ا لثغر الذي يلي إبليس) دائماً، عندئذ سنكون مـن المقربين الفائزين في الدنيا والآخرة إن شـاء اللـه تعالى ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ**﴾[٢].

وآخـر دعوانا أن الحمـد لله رب العالميـن، وصلى على محمد وآله الطاهرين.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج١٣ - ص٤٢.
(٢) الروم:٤ - ٥.

المحتويات

كلمة الناشر ٣
مَنْ سيُظهِر دين الله؟ ٧
أسباب النزول ٨
حقائق ناصعة ٩
(الإظهار) حقيقة تشكيكية: ٩
الامتداد الكمي للإظهار ١٠
الامتداد الكيفي للإظهار ١٠
العنوان والمحصَّل ١١
تطبيق القاعدة على الآية الشريفة ١٤
متى سيظهر الله الدين على الأديان كلها ١٥
حقائق دقيقة في تفسير الآية الشريفة ١٨
التدخل الغيبي المباشر لنصرة خاتم الأوصياء: ٢٠
الترابط الجوهري بين الآيات ٢٢
المرتبة الأسمى عمل الله، والمراتب الأولى مسؤوليتنا ٢٤
مسؤوليتنا في زمن الغيبة ٢٥
الصبر على المصائب والمصابرة على الفرائض ٢٥

المرابطة على الاقتداء بالأئمة عليهم السلام ٢٧
معنى المرابطة ٢٨
مدة المرابطة أبد الدهر ٢٩
الأجر العظيم للمرابطة ٣٠
المحتويات ٣٥